شارع الصابحه

اسم العمل : شارع الصابحه
النوع : سردية شعرية
تأليف : إكرام بشرى
تصميم الغلاف : عبدالقادر فايز
إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
الطباعة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر : الدار للنشر والتوزيع
المدير العام : محمد صلاح مراد
تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع : ٢٣٥٠٦ /٢٠١٦
التـرقيم الـدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-166-1

شارع الصابحه

(كردان حكايات)

سردية شعرية

إكرام بشرى

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٦

الإهـداء

- **جورج وربيكا.. أطفالي، حتّة الضّـل اللي فارشـه القلـب مجـانـاً، والنهر اللي بيجري جوّه الروح والتمر اللي بيقوّت والعسـل اللي بيطيّب.. دُنيتي اللي باموت فيها وانا عايش**

- **نـاهـد بطرس: الغـاليـة اللي بَكَتْ كتير من غير دموع وجاهدت كتير لحد الشــهادة وعِشْــقت أنفاسي أنا والصغُّار لحد العبادة وفردت جناحي لما نويت أطير وفتحت كل البيبان والشــبابيك، وانا راجع تاني للعش ومن غير غش، أنا باقولك أنتِ النهار الأبيض اللي انا شـايلة علشـان يحمي القلب من سـواد الأيام .**

- **سعد مرقص (المعروف بسعد الشيطان) واللي في يوم قتل سيد زرزور البلطجي وخلص الناس من أذاه، وبعدها اتحوّل هو برضه لبلطجي، وما قدرتش اكتب عنهم في الكتاب لأني خوفت من ذريتهم اللي لسه عايشة.**

- **سعاد حسني.. وخلّي بالك من زوزو.. الحقيقة والأسطورة.. والحب.. اللي كسرت مفتاحه في باب القلب.. البرواز والصورة .. زوزو وضحكتها وكآبتها.. وطيبتها وقسوتها.. وريحة عرق الغُربة في فرشتها.**

في يوم عدَّى عليه خمسة وعشرين سنة
حطّيت في شنطة سفري بيوت وناس
سكنتهم وسكنوني
وحيطان بيوت حِبلت وجعْ
وفرح وجروح
وروح بجناحات
لَفِّت تاخد من ريحتهم
بواقي حياة
وعطر الحنين من عضم التربة
وشِلْتْ في قلبي كلام من طرف لسانهم
كان بيزُقْ في غيوم الغربة
وبواقي عجين ما اختمرش
وحفنة تراب لطريق ما اكتملش

***

رمضان علي الأبواب
ظهر الهلال
وشارع الصابحة بيشغي عيال بيعلقوا الزينة
وابتدا دق المسامير وشد الخيطان واللزق والتلوين
السنادي كهربة الفانوس ها نوصلها من بيت برسوم عبد الملك
واعقاد الزينة ها تمشي زقزاق
من اول بيت عّم زكريا لوندي
لغاية بيت فايز موسي كيرلس
شارع الصابحة لازم يبقي أحلى من الشوارع اللي حوالينا كلها
أهي عاده وكبرنا عليها
حتي الواحد مش عارف ليه سمّوه شارع الصابحة
يمكن يجوز علشان كل البنات اللي فيه طازه وصابحة
عم حليم حنا بني فرن الكنافة
وكان مستني الطينة لما تِشِدْ
علشان يرمي فوقيها الصنية ويقفل حواليها
الفرن مبني علي زاوية
نُصّه مطروح في شارع الصابحة
والنص التاني في شارع الشهيد ماهر رشدي
المتفرع من شارع الصابحة في ملوي

وعين الحَمِيَّة مفتوحة عليه
حتي الجِّمَال نزّلت عَبْش الوقيد من علي ضهرها
واتكوّمت جنب عين الحمِيّة
وقبل ما أنسي عايز اقولكم
إن شارع الشهيد ماهر رشدي
ده له حكاية لوحده
وحكايته قُريّبه مش بعيده
كانت ما بين حرب الاستنزاف
وتلاتة وسبعين/ العبور
وفي الاتنين استشهد من الشارع راجلين
كان صابيهم الدور للخدمة فـ الجيش
ماهر رشدي توفيلوس في الاستنزاف
واحمد عثمان محمود في العبور
وفي يوم جت البلدية علشان تكرّم الشُّهدا
وتسمّي الشارع علي اسم واحد منهم
اكمن يعني الاتنين
كانوا عايشين فيه
جه مندوب البلدية
وجمع العيلتين

وجابوا معاهم أوجاعهم وأحزانهم
واشتياقهم للغايبين
وقال لهم :
محتاجين نسمّي الشارع
علي اسم واحد من الاتنين
يعني ها يبقي اسمه مثلا
شارع الشهيد (...)
فزّ الحاج عثمان وقطف الكلام قطف وقال:
شارع الشهيد ماهر رشدي تاوفيلوس يا سيدنا الافندي
هو اللي راح الاول ووجعنا ع الآخر
هو اللي شوفناه ف الاول
لما كان رايح حاطط روحه علي كفه
وخلي قلوبنا تدق دق
وهو اللي شوفناه داخل علينا
وحش نايم في صندوقه
واخد الطلقة في صدره
وخلي قلوبنا تتشق شق
هو ده الكلام يا سيدنا الافندي
ده اوله وده آخره

الشارع هيبقي اسمه .. شارع الشهيد ماهر رشدي
ومن ساعتها اليافطة اتغيرت من شارع الإسعاف القديمة
لشارع الشهيد ماهر رشدي
ومن ساعتها الشارع بقى معروف باسمه
وبفرن الكنافة اللي ع الناصية
وكل ما يهلّ رمضان
يكون عم حليم حنا خلص الفرن
ويمكن يعمل كنافة النهارده علشان السحور
ده لو جَاله عبد العزيز
اللي بيحمي الفرن
مهو شَيّع له حد ومستنّيه

***

عبد العزيز كان بيظهر في الشارع
من رمضان لرمضان
وكانت ونيسته في المكان
أوديت حنا
ياه .. أوديت حنا وَعَبَد الغزيز !
كانت أوديت بتعيش في شارع الشهيد ماهر رشدي
بيقولوا ان أمها رضّعتها في ساعة غضب

فشربت عَكَارة من بِزّها الحامي
من ساعتها وهي قعيدة
كان ونيسها الوحيد هو عبد العزيز
كان قعيد زيّها بالظبط
واللي بيساعده في الحركة عربية (رولمان بلي)
عبارة عن لوح خشب .. متوصل بأربع عجلات
وكان بيستعمل إيديه زي المجداف علي الارض
يزيح لورا عشان تتحرك العربية لقدام
كان بيغيب كتير ويظهر من تاني
وفي مرة من مرات ظهوره
أوديت قالت له:
عاش من شافك يا عبد العزيز
عامله ايه الدنيا معاكْ؟
قالها: والله يا أوديت انا عايش ميت
علشان مش باشوف وِشّك كل يوم
لكن إذا كان علي الدنيا
فهي بتشيلني وبتحطني
وتقوّمني وتقعْدني
وتْميِّل فيَّ وتعْدلْني

لكنها عمرها يا بت يا أوديت
ما قدرت تديني ولا غُرزة واحدة في جتتي
تسيبها لي علامة ..
ردت أوديت: بعيد عنك الشر
دي قبل ما تتُكُت إبرتها في لحمك تتُكُتها في قلبي
وفي يوم من الأيام والكلام رايح وجاي بينهم
حصـلت خناقة في الشـارع بين عيلة جانيت غبريال وعيلة محمود حامد
علشان في واحد شاف جانيت ومحمود
ماسكين إيدين بعض وماشيين ورا المعهد الديني
أوديت قالت لعبد العزيز
هُمّه خايفين علي البنت
أصلها بتحبه .. وانت عارف بقى
هي مسيحيه وهو ومسلم
ابتسم عبد العزيز و قال لها:
طيب ما انا وانت كده برضه يا أوديت
قالت له:
لا يا عبد العزيز .. أنا وانت .. عَجَزةْ زي بعض يا خويا!

***

وفي شارع الصابحة كان يعيش مشرقي
فاتح قلبه وعيونه
وبيلعب مع العيال بالزينة
العين رزينة لكن عقله مش واعي
اكمن كان عقله متأخر شوية
علشان كده قال: ان قرايبُه داسوا علي نصيبه في الميراث
مشرقي كان إنسان بسيط
ملوي كلها تعرفوا
اسمه مشرقي لكن حياته كانت غروب
الحلق ناشف
لكن قلبه بيسقى الناس خرّوب
تعيس وفقير وضعيف
وعارف ان اللي مقوّيه
انه متونس بصدر الكنيسة
ولما مات أبوه وأمه
ودول اللي كانوا آخر بَلّة ريق في حياته
من بعدها
وقف متلفّح بالخوف والوحدة

كان النُّطق عنده متعثّر
بيتهته يعني
وكانوا كل العيال والشباب
ويمكن حتى الرِّجّالة الكبار
أول ما يشوفوه يزفوه
ويتّرْيَقوا عليه ..
اللي يضربه علي قفاه ..
واللي ينغزه ف جنبه ..
واللي واللي واللي ..
كل ده علشان يضحكوا ..
وما كانوش بياخدوا بالهم من زعاقه ..
اللي كان بيملا الشارع ..
كان بيخاف منهم
ويجري بعيد ..
كانت قعدته المفضلة جنب باب مطرانية ملوي ..
بيستنى حد يحن عليه ..
من الناس اللي داخله واللي خارجه
من الكنيسة
وكان برضه يحب القعدة علي الرصيف بتاع الجامع العرفاني

كان بيحلم بحق رغيف العيش
أو إن مجْد الله ..
يحن مرة علي اللي قاعدين علي الرصيف ..
كان دايما جعان مع إن أمه قبل ما تموت ..
كانت سايبه له فوق سطح البيت ..
صومعة مليانة كِشْك ..
لكن مش قادر الحزين يطلع لها ..
لأن السلم واقع والبيت واخد إزالة
كانت أوديت بتحن عليه ..
بـ "ضُورة" كشك
أربع كشكات يعني
أو تنفحه ساندوتش محشي كرنب ..
زي ما كانت بتعمل مع عبد العزيز حبيبها ..
بس عبد العزيز كان زيادة شوية
كان ساندوتش المحشي كرنب ..
بتبقي راميه في نصه ..
حِتّة لحمة
قَصّتها من مَناب اخوها الكبير ..
اللي بيرجع في الليل ..

بعد ما يخلص شغل في صيدناوى
القصد.. فجأة مات مشرقي ..
وهو قاعد في مكانه المفضل ..
قدام باب المطرانية ..
واتفرد جسمه علي الأرض بطوله
وناس كتير جابت جرايد علشان تغطيه..
لكن معظمهم ..
كانوا يقربوا خطوة..
ويرجعوا خطوتين ..
كانوا خايفين . .
شيء غريب!
مشرقي اللي ميت دلوقت قدامهم ..
هو نفس الشخص اللي كانوا بيتمسخروا عليه ..
من خمس دقايق فاتوا !
يا تري خايفين منه هو ..
وللا من موته؟!
خايفين لأنه أخد من الموت قِوّته ..
ولا علشان اللي بعت يستدعيه
هو أعلى سلطة

كانوا خايفين جداً منه ..
علي الرغم من انه في موقف مكانش هايقدر يهرب فيه من رزالتهم ..
او يقاوم سخافاتهم
وبرغم خوفي من المنظر
لكن لاقيت نفسي ..

***

بأقرب منه ..
وبصيت في وشه
لاقيت ملامحه اتبدّلت
أصبحت ملامح راجل معتز بنفسه
وكأن الموت .. فرد له طوله وصلب عوده
مش عارف ازاي..
بس قولت لنفسي:
يمكن يجوز علشان اتّخلّصْ بموته من روحه الضعيفة
اللي كانت بتخليه يشوف الناس كلها أقوي منه
او يمكن يجوز علشان بموته ..
اتّخلّصْ نهائياً من سخافة ورذالة البشر
- لا ما ماتش ..

- لا مات قدامنا يا سمسم ...

كان الفيلم باظ يا ابني .. ده البطل !

والبطل عمره ما بيموت

طيب عمرك سمعت عن رشدي أباظة ومات؟!

يا ابني انت وهو.. مفيش ولا رشدي أباظة بيموت ..

اتنين بس بيفضلوا عايشين علي طول ..

طول ما انا عايش ..

- مين دول يا سمسم ؟!
- رشدي أباظة وسعاد حسني ..
- يا سلام..! سعاد حسني ؟!
- ايوه سعاد(زوزو) ..

كذا مرة المخرج يحاول يخليها تموت ..

لكنها مش بتعرف تموت..

- ياااااه .. ومش بتعرف تموت ليه؟!
- اصلها .. بتعرف .. تعيش .. بس ..
- بس هما بيقولوا انها انتحرت

وللّا باين حد رماها من فوق ..!

- اللي انتحر ولا اتْرمَى من فوق

هو الموت

لكن هي عايشة..

أوممال مين اللي بتنام علي دراعي كل يوم؟! ..

ومين اللي أنا كل يوم بأقول لها:

أنا عايش علشان انت عايشة

رغم أن الموت بييجي كل يوم

ياخد مقاسي ويمشي

تبقي عايشه ولا مش عايشه ؟!

طيب شـوفت زوزو .. في فيلم شـباب امرأة .. هي ورشـدي أباظة ..

لما غنت له غنوة بمبي بمبي؟!

- لا يا سمسم بقي شباب امرأة .. بتاع تحيه كاريوكا وشكري سرحان ..
- اطّمِسْ علي عينك .. انت شوفت شباب امرأة ؟!
- ايوه شوفته ..
- طيب عشته ؟!
- لا ماعشتهوش ..
- يبقي ما شوفتوش ..
- طيب احكيه لنا يا سمسم
- بكره .. بكره لما دمي يروق ..

وقلبي بِكِنّ و رِيقي بِطرَى
واطمن على مشرقي
قوم ..
قوم يا مشرقي ما فيش حد ف شارع الصابحة .. بيموت ..
وعدى من جنب الجرانين ومشي

***

سمسم ابو صالح .. كان يشتغل طول الأسبوع في الدوكو ..
دوكو السيارات
كانت الكلمه الوحيدة..
اللي بيقولها باللغة العربية "السيارات"!
كان يقبض كل يوم سبت ..
والحد يقوم طالع علي السيما ..
هناك .. كانت سينما ملوي بالاس
كانت صيفي ..
نقعد في شباك بيت عمي ..
كان باصص علي الصالة
والشاشه قصادنا بالمللي ..
ولما النور ينور في الاستراحة..

كنّا نشوف سمسم قاعد قدام في الترسو ..
واحنا فوق في الشباك ..
واهو كل واحد علي قد قِزْشُه
ولما سعاد كانت بتبان ..
كان خِيرها بيعُم علي الكل ..
اللي تحت شايف وبرضه اللي فوق ..
بس سمسم .. كان يسرق منها نظرة لتحت ..
ويسرق كمان نظرة لفوق
كانت عينيه متجيش في عنيها أبداً
من باب الاحترام والذوق
كان خُلقه بيضيق من كتر الخلايق .. اللي بيبصوا لها
كان يكمِّل اللي ناقص من فستانها بعينه ..
كان فيه عشرة غيره بيقصولها
وما كانش عنده غير جملتين ..
القلب يعشق وللّا العين ..
وخلي بالك من زوزو ..
وخلي بالك من زوزو ..
حتي لو طالع من فيلم .. بطوله ميرفت أمين ..
كان بيجي في الصابحة يقعد في لمتنا ..

لا سلام ولا كلام ..
يبدأ يحكي في فيلم عشية
بس بأبطال جداد .. وحدوتة جديدة
ونسوان علي مزاجه هو ..
حتى اللي بيعْجَز البطل عن عميله .. بِيكمّله له هو ..
خمستاشر سنه بتفرجنا يا سمسم يا صالح ..
علي أفلام من خيالك..
ما فيهاش ولا فيلم ..
ما فيهوش سعاد حسني ورشدي أباظة
وما فيش ولا مرة نسي فيها بِفكّرنا
ان سعاد .. أجمل ميتين مرة من "فيولا"

***

فيولا دي واحدة ست جميلة..
عايشة برضه في شارع الصابحة..
بالظبط في حارة متفرعة منه .. اسمها ام المؤمنين
وجوزها مكسيموس .. سرّيح غلبان
مرة بسلك المواعين
ومرة يلف يبيع دانتيلا فساتين البنات

فيولا زي العامود الرخام
اللي لِسَّه مفيش إزميل نحات جَرّفُه
كانت الخمسة جنيه وقتها .. مبلغ مش كبير
وبرضه مبلغ مش صغير
لكنها كانت في متناول مواطن عادي ..
كل طموحه انه يمرغ وِشّه.. في جسمها القطيفة
ولما تخبّط على بابها المفتوح
تدخل تلاقيها نايمة عريانة
ولما سألها واحد م الرجالة
انت ليه عريانة؟!
جاوبت:
انا مش عريانة.. انت اللي ها تتعرّى!
قال لها:
عمرك ما حسّيتي أنك عريانة؟!
قالت له :
لا .. بحس
لمّا بغْسل جسمي في الحمّام..
كانت عيون الرِّجّالة السُّخنة وقتها
بتفطفط علي جسمها

ست ايام في الأسبوع ..
وكانت ترتاح في اليوم السابع
كان يوم الحد بالنسبة ليها .. هو يوم الرب ..
وكان هو اليوم الوحيد برضه ..
اللي بيرْجع فيه مكسيموس جوزها .. للحياة
سمسم عينيه عدسات نافدين علي الشارع ..
وكان رفيع .. ولا كان قصير ولا كان فارع ..
كان عادي .. تقدر تقول كان باهت
ما كانش عنده حقايق كتير ..
كان كله كلام أحلام ..
وكان يختفي كتيير
وما كانش يبقى زاهي ..
غير وهو بيحكيلنا في الأفلام
وما كانش يحب يعدّي من ناحية فرن حليم حنا ..
لانه ساعتها بيبقى مجبر ..
يعدّي من قدام دكان .. مجاهد السَّنَّان
وسبحان الله .. لا مجاهد كان يطيقه ..
ولا كان هو يطيق مجاهد ..
عم مجاهد بيسن السكاكين والمقصات ..

دكانته مدفونة في آخر الحارة
والحجر الداير سنارة
بيصطاد الرزق العاصي ..
كان فارد طوله ..
كان صدره الواسع محشود بحاجات..
ذكريات وبنات وغربه وحنين
وكمان دخان
كان بيدفن كل يوم فيه علبتين ..
وقلبه كان دافع مقدماً فواتير عشق كتير
وعينيه مسنونة وحنونة ..
وساعات بتكُب شرار ..
وبتشغي بدموع الهم ..
بس اما بترمي النظرة..
علي البنت "حنان"
بتاخد منها عيّنة الدم ..
كان يمضغ يومه بطوله ..
ويحننه ويقّسِّيه
وكّفيتُه عَ الحجر الداير بتقلب شوقه وتصحِّيه
كان عارف ان الدنيا نغّاجة وعِنَديّة ..

بس بلقمة فقيرة..
بيقطع عرق الجوع ..
ويسيّح دمه..
كانت ضحكة قلبه..
زغروته تخضر فدان..
وقلة حيلته مليانة ندالة
كانت لحظة صمته مليانة قِوَالَه ...
والبنت حنان ..
خطوتها بتدوس تفاصيل الحارة
وبتاكل في قلوب وعيون
ومجاهد بِيِجزْ
ويدوس بجنون في البدّالة
وحنان تفرد خطوتها ..
تترج الأرض من تحتيها
وكل ما تغيب و تعدي
بتموت فيه وبتحيِيه ..
ومجاهد بيكوّر جسمه الناحل في ركن الدكان ..
وحنان زي الشهد .. في خياله
كان نِفْسُه يِدُوقه ولو مرة

مجاهد كانت عتمة ليله بتخبِّيه ..
ويروح فارد جرحه فِ كفه ..
ويسن سلاحه بالمرَّة.
وكل نهار بيشقشق في الشارع
بِجُر أوديت من عند العتبة لـ برّه
كانت ترمي الصباحات ..
عَ الرايح والجاي ..
كانت ناس من كَسْر الضلمة بتسعَى
وهي بتغيب وتاخد شفطة
من كوباية الشاي اللي في إيدها
غلبانة.. ما كانتش تحب الليل
ودخولُه عليها ..
كانت وحْدِيها بتقضِّيه
وتحكي لعبد العزيز وتقول له:
أمي كانت تنام من بعد أذان العِشا
تاخد دواها وتخش في فرشتها..
وما بتنساش .. تاخد أحزانها وأوجاعها ..
تنام جنبيها ..
واديني.. بَفْضل كده ..

زي ما انا يا عبد العزيز
ليل بيجيب نهار..
ونهار بيجيب ليل ..
ولا حد داري بي ..
زي النخلة اللي بتتباهَى بشواشيها..
وأقضي طول الليل ..
أملَا كفوفي أحزان .. وألطم بيها
عارف يا عبد العزيز ..
وحياة من جري دماك في عروقي
وخلي قليبي يتشعلق بيك
لما كنت اقعد مع أمي ..
وافتكر كلامنا مع بعض
وآجي اضحك .. قوم وسطي الفوقاني يتقصع لورا
كانت حَلَمِة سدري بتنُفر قُدّام ..
كانت أمي تقول لي:
أتلمي يا بت..
وضُمّي دراعاتك علي سدرك..
اخنقي البِزين النافرين دول
اخنقيهم

أمي يا عبد العزيز ..
من ساعة ما رضعتني نكدها وعجَّزتني
زي ما تكون مش عايزه تسيب أي حاجه حيّة فيّ
تُطرف عين الناس .
حتي أخويا ييجي ويروح
ولا كأنه شايفني
كل مرة يخطي من فوقيّ في الرُّوحة والجايّة
وكأني مش موجودة
وان جه مرة قال لي : مسا أو صباح الخير
يبقي علشان ينبهني
واشيل رجلي المتخدّرة من قدّامه
عارف ليه كنت بأحب أبويا
أكتر من أي حد في الدنيا
مش علشان كان بيحبني
ما هو أي أب بيحب عياله
لكن أبويا كان هو الحضن الوحيد
اللي بيمِيل لغاية عندي
علشان يحضني
كتير اتمنيت يا عبد العزيز

ودعيت إني أقدر أمشي
علشان اروح آخد حسّك
حتى لو ها تطولني فضيحة جميلة وصاحبتها فيولا
ولو ها ياخد ابني وجوزي زي ام سامي
مال عبد العزيز عليها علشان يوشوشها
وهي مالت عليه برضه
راح قال لها:
ما تتعبيش نفسك يا أوديت
أصلْ أبو قُبّة زرقا
لما بيعمل حاجة غلط
مش بيعرف يصلحها تاني
ولو كان لنا قُومَةْ
كان بان
لكن شكلها مش باين
الظاهر إني انا وانت
ها نفضل باركين علي جرحنا علي طول
ولو الدنيا اتقلعت و طارت من حوالينا
ها نفْضَل انا وانت
باركين في مكانا

حتي لو نبتت لنا جناحات

***

كانت أوديت تحكي لعبد العزيز
علي اللي حصل طول السنة في غيابه..
حاجة غريبة!
وكأنه ما غابش ولا دقيقة
كانت شايفة ولامسة
وحاسّة كل حكاوي الناس
وبتسمع بعنيها
كأنها زي المغناطيس
وهو بيشفط البُرادَة
كانت صادقة في كل حكاويها اللي شافتها علي الناس
إلا اما كانت تحكي علي ابوها
من كتر حبها فيه كانت كدّابه
كانت تحكي عنه لعبد العزيز وتقول له:
ابويا كان طول بعرض ابيض بِحَمَار
كل النسوان في الشارع تتشهاه
وعليه رسمة جلابية
ولا فيه راجل يضاهيه

عبد العزيز راح ضارب عينه من الشباك الطالل عـَ الشارع
كان فيه صورة معلقة لابوها..
علي حيطة متبيّضة بالجير
ومن كُتر ما ابوها كان ناحل وضعيف
الصورة متعلقة بفتلة رفيعة
في مسمار شيشه صغير
وَعَبَد العزيز غمغم بكلام :
واااااه يا اوديت يا غاليه
ابوكي و بتحبيه بجد
أوممال !
بتقولي عليه طول بعرض
وانا سامع صوت كحة صدره من هنا
من كتر ما شم غُبار قطن الحلاّجة
حسّت اوديت بنظرة عبد العزيز للصورة
وخافت علي ابوها لا تتغير في عينين عبد العزيز صورته
قالت له دي صورة اتصورها كان لِسَّه راجع من ليبيا ..
وكان تعبان كان عنده حَصْوة في جنبُه ..
ودي صورة التعيين ..

صـــوّرها له المدغون في قلبه محمد الشـــافعي اللي قصـــادنا من ناحية البندر ..
وشاورت بيدها عليه

***

لحظة ما كانت عدسة الكاميرا بتاعة عّم محمد الشافعي..
بتنشن علي وش راجل قاعد مبتسم ..
والابتسامة شكلها هي و وِشُّه متعرّفين علي بعض جديد..
كانت عيون محمد الشافعي وراسه مدفونين جوّه القماشة السودا ورا العدسة
بِتْحاول تشف الابتسامة قبل ما تتلم من علي وِشّ الراجل..
لحظة ما يستدعي حبة هَمْ من الذاكرة
اكمن الراجل من ساعة ما رجليه عرفت كيف تسرح عَ الغيط ..
وهو بيغرس وبيسقي وبيحصد ..
لحد ما بقي ساقط قيد
حتي مراته اتجوزها بكلمة مش بعقود
ودي اول صورة في عمره ..
الحكومة ها تلزقها علي كرتونة
تثبت له انه موجود علي قيدك يا حياة
محمد الشافعي ما يهمُّوش غير النص الفوقاني..

أصل الصورة مستعجلة..
محمد الشافعي كان قاطع حتة من الرصيف..
قُدّام عمارة المقدس فانوس ..
جنب البوسطة القديمة
وجنب منه شجره متعلق عليها جاكت بدلة وكرافتة ..
لو حد يعني جاي مش مستعد للتصوير
كان هو الوحيد اللي عنده كاميرا بتصور في الحال
(كاميرة مايه)
بس وشه كان ناشف خالص
الشارع كله ناس رايحه وجايه ..
بيبصوا علي الراجل اللي قاعد مفرود زي الوتر
يمكن بيحسدوه علي لحظة هيتحقق فيها ..
علي ورقة مطبوعة.. ها ياخدها قُرَيّب لما محمد الشـــافعي يبدأ العدّ:
واحد.. اتنين..
بصوابعه المرفوعه لفوق بعلامة النصر!
الصورة كاملة ومش مبتورة..
بس كان باين.. جرح نازِزْ في عيونه البسيطة..
والوِشّ محفور بخطوط الغيطان ..

والشمس سايبه لسعتها علي الجبين..
مبروك .. قالها محمد الشافعي ..
خلاص قوم حط الجاكت علي فرع الشجرة ..
واستني الصورة
معلهش الصورة عايزه شوية رتوش
عايز ألم الفَتايِح اللي في الجبين وامسح بالقلم الأسود..
دمعة في عيونك .. رغرغت منك
الراجل ساقط القيد ..
خلع الجاكت وناوله لمراته..
تعلقه له علي الشجرة
ومحمد الشافعي طوح الصورة في الهوا..
كام مرة علشان ينشفها..
وهو بيناول الراجل الصورة
راحت مراته خطفتها وباستها..
ودسِّتها تحت الشال..
أصل الشارع كان مليان عَفارة وغُبار
وعيون كمان ممكن تفلق الحجر..

***

في شارع الصابحة..

الليل مش ستار
الليل دايماً كاشف فضّاح
والنغْجَة المهموسة فيه
تسري زي الجن..
تطير وتلف علي كل البيوت
وتدق علي الشبابيك ..
لجل الوِدَان تسمعها
واللي نايم وسمعه تقيل
مع طلوع النهار من جنب الحيطان يجمعها
كلام الليل في شارع الصابحة مش مدهون بزبدة..
علشان يطّلع عليه النهار يسِيح
كلام الليل في شارع الصابحة تقيل ومتجمّد ..
وف ليله كان راجع فلورانس البنّا سكران
وزي العادة مسلطح علي عربية محمود بتاع البطاطا ..
كان دايماً يجيبه معاه كالعادة..
بعد ما يُجْبُر ليلته بِيَاعه
ويسيبه علي عتبة بيته ويمشي
فلورانس اتمدد علي العتبه وما نامشي
وودانه سمعت جَرّ كلام ..

من الشباك اللي في جنبه
كان بين ام حسام وجوزها فاروق العجلاتي..
وباينه فاروق كان عاشق ومْوَلّف مع واحدة في حِتّةْ
كان قاصص من حق ام حسام حِتِّة
ام حسام كانت بتناغش فيه
كانت عايزه تصحي الحتة النايمة
وقالت له:
يا فاروق انا روّقت البيت وطبختلك وكَوِيتلك حتي الجلابية
قال لها: تسلم إيدك
قالت له: تسلم وتعيش بس يا ريت تراضيني النهارده
قالها : يراضي الكل ربنا يا بنت الناس
قالت له : استغفر الله العظيم يا راجل!
ده كلام تقوله هو ربنا بتاع كده برضه ؟!
راح فاروق ساحب نفَس من الجوزة
وكتمه وبعدين بَخُه
وقال لها:
لا يا ام حسام عدّاكِ العيب
ربنا مش بتاع كده
ولا انا برضه بتاع كده يا ام حسام وخُشي نامي

وفلورانس راح يحكيها في قعداته ..
وكان دايماً يبدأها بجملة وحيده يقول :
هاحكيلكم حكاية علي ام حسام أصل المرَا دي تغيظ ..
مش لما تعوز يبقي تعوز بسكات ؟!
لا.. لازم تبتدي في الأول بوعيظ !
***
شارع الصابحة مستني رمضان يبدأ
عّم حليم حنا واقف علي الفرن
وجنب منه الماجور وعجينه الكنافة جاهزة
الكوز في إيده جاهز علي الرش
أول ما تبدأ الخيوط تسيل علي الصاجة
العيال هاتهيص بس لِسَّه عبد العزيز ماجاش
اتأخّر كتير السنة دي..
رمضان بانت بشايره وهو لِسَّه مش باين..
أوديت قاعده قلبها مشغوف ..
وفيه حاجة في قلبها مش قاعده ..
عصّبت الإيشارب علي رأسها وقالت:
هو لِسَّه ما جاش يا حليم ؟!
قال لها: لِسَّه يا أوديت

وهو بيخلص إجابة علي السؤال

دخل محمد سواق عربية الطاحونة

قال له حليم حنا:

ما شوفتش عبد العزيز يا محمد ؟!

قال له: عبد العزيز العاجز

قال له: ايوه.. ماله؟

رد بأســـــى : يا عم حليم العمر الطويل ليك.. عبد العزيز تعيش انت..

لاقيناه ساند ضهره علي الحيطة الشرقية من الطاحونة

وقاعد علي العربية الكسّاحة أم الرومان بلي بتاعته وسر الله نفد

اتوهل حليم حنا وتاااااااه

وفلتت صوابعه من سدّة أخرام الكوز

وسال منه العجين عَ الأرض..

واتْعدَل وقال لأوديت: عبد العزيز مات يا أوديت..

رقص نُصها الفوقاني رقصة المدبوح

وزي ما تكون ها تقوم علي حيلها من عجزها

ولما جت تصرخ.. صوتها اتحاش

وفضلت تدق بإيديها علي قلبها

وتقول بصوت واطي وتكفر وتتوب

وتعد الذنوب علي صوابعها:
واااه يا عبد العزيز يعني كده تسيبني وحدانية في نص الدنيا؟!
دانت الشارع والبيت والسكن..
تسيب قلبي يتشوي في القدّاحة
ليه يا عبد العزيز تسيب راسي عريانة تنقح فيها القيّالة ؟!
ليه يا عبد العزيز دانت حتة الضّلّة الوحيدة اللي قدرت أكنسها من تحت الشمس..
قرَّب محمد من أوديت
وطبطب علي كتفها
وضم جلابيته من النُص بين رجليه
وراح قاعد في جارها وقال:
اسمعي يا أوديت لما أقول لك:
البني آدم مننا نَفَس داخل ونَفَس طالع..
وان طالت ولا قصّرت كلنا رايح
ويمكن نتلاقي معاه في المنتهي
واللي كانوا بيعتبوا عليكم فيه في الأرض
يمكن ما يبقالوش عتاب فوق
شدّي حيلك ويصبرك العزيز..
وراح قام ومشي رَوّح علي بيت الخواجة مسعود كالعادة

ونام على ذمة صباح رَبَاح
ويوم شقا جديد
يسيل فيه عرق جبينه
على لقمة ناشفة يطرّيها
لكن الصبح جه
ولقينا مكرفون الجامع بيقول:
سبحان الحي الذي لا يموت ، توفي الي رحمة الله الأسطى محمد سواق عربية طاحونة الخواجه مسعود ، وخروج الجنازه عقب صلاة الظهر والعزاء بالمسجد المجيدي
اتغسل واتكفن محمد في بيت الخواجة مسعود وطلعت الحسنية من البيت علي الجامع
المسلمين خلعوا النعال ودخلوا يحضروا الصلاة في الجامع
وعلي الرصيف كانوا المسيحيين محشودين
مفيش ولا بيت فيكي يا ملوي اتهزّ قمح في غُرباله مطلعش وراك
مات محمد وخد خير كتير وياه
عّم محمد النوبي اللي شاله التهجير
من خلف السد لحد كفوف الراحة في ملوي
وصَبَحْ يشبه ناسها
كان بيسوق العربية الكارو بتاعة طاحونة الخواجة مسعود

كان دايماً يقول:
أنا ليّ في كل بيت في ملوي حتة ضَل، ورغيف سخن ، وصحن خضار، ومناب مِتْشَال ليَّ
كانت كل البيوت بتعرفه
حتي لما كان بيضنيه التعب من اللف طول النهار
كان بيجُرّ أي حيطة من حيطانها ورا ضهرُه ويتركن ويرتاح
دفنوه الرجاله وكرموه آخر كرم وخلصوا وراجعين..
وام رحيِّم لِسَّه بتشهْلق بين الحين والحين..
ودي كانت المرّة الوحيدة
ان واحدة ست تحضر دفنة راجل
ساندها حليم حنا من دراع وأخوه منير من الدراع التاني..
حليم كان حنون وصادق
وكل حاجه فيه واخدها من طباع الأرض
حتي طوله كان فارع
كأنه نبته وكانت بتتسقي من زمان
كان إنسان وراجل
كان بيروح ليبيا ويرجع جايب الخير للكل
لأولاده وولاد أخوه منير
كان فاتح معاه دكان البقالة شِركة

وقت ما حليم يروح على ليبيا
التاني منير كان يرعاه
كان بينه وبين الناس محبات وتحيات ..
غير أخوه منير خالص
كان جِهِمْ وكِشِرْ وما يضحكشي للرغيف السخن!
والنَّاس كانت تعدي عليه قد ما يعدوا
وكأنهم بيدوسوا علي حتّةْ ضل..
كان يقعد في الدكان طول اليوم يبيع في سجاير فرط
وامشاط كبريت وشاي وسكر وسمن وزيت وزيتون وجبنه ضاني
وحلاوة شعر
وكمان كان عنده التموين
يبدأ في توزيعه أول كل شهر ..
كان يفرد دفتر مليان صفحات
كان نظره ضعيف
ومسجل أسماء الناس بخط كبير
علي سطر وسايب سطر ..
كان عادي لما تسمع كل يوم واحده بتقول:
يا منير يا ضلالي ليك يوم ..
وللحق كانت ذمته يجري فيها القطر..

كان دايماً يقول (مجانا أخذتم مجانا أعطوا)
وماكانش بِدِّي حاجة بالمجّان
غير القربانة اللي بياخدها من الكنيسة كل يوم حد ..
كان وهو راجع كان يفرّق منها علي الكل
وكانت دايماً تبقي راجعة معاه فيولا مرات مكســـيموس في نفس الطريق..
وكان من اصحاب النصيب في توزيع القربانة الست حكمت

***

ايوه الست حكمت جاد السيد
كانت ساكنة في بيت طويل عريض
ورثت فيه الدور الأرضي
وبيّارة في نص الصـــالة بتطْفح كل ما حد في الأدوار اللي فوقيها يرشرش وِشُّه بشوية مايه..
كانت تقضي نص نهارها تكسح مِ البيارة وتكُبّ في قلب الشارع..
وتقضي النص التاني من اليوم تدعك ركابيها بالزيت الدافي ..
وتاكل آخر اليوم لقمة وتصلي صلاة قبل النوم
وتطْلع كام بسطة من سلم قدام سريرها العتيق ابو عمدان وتنام ..
طول عمرها ما دخل بيتها راجل

كل اللي بيخطوا عتبها أطفال يشربوا مايه من الزير
أو ياخدوا نفســـهم من اللعب في القيّالة (فين جوزك يا خالة حكمت؟!).. سألوها في مرّة الأطفال
قالت: جوزي المسيح .. أيوه انا متجوزة المسيح
(طيب مش بنشوفه بييجي هنا يعني) سألوها الأطفال؟!
قالت: لا عايش معايا من ساعة قلبي ما دخل الدير
ومن ساعة ما بقت الوحدة عاضّة في ضهري..
يلا يا عيال العبوا
خلوني أقوم ألمّ الطفح بتاع البيارة..
وهي طالعة بسطل المايه في طلعة أم سامي من بيتها..
يعافيك يا حكمت.. ازيك يا غالية
ردّت: حلوة يا حبيتي.. يسلم عمرك
يِقصّر مني ويمدلك انت وبناتك واجوازهم ويعزيكي ..
انا يا حبيبتي الدنيا بتفُك فيا تعريفات وقروش عمرها ما ســـابتني جنيه صحيح علي بعضه..
بس برضه حلوه..
ولما بتغيب علينا شوية بترجع تراضينا..
وهو برضه حلو مش بيبخل علينا ..
بس احنا اللي فاكرينه مش كده

بس احنا نجرّب حنانه ومحبته
جرّبيه يا حبيبتي..
قالت لها: جرّبته
وفُوتّك بالعافية يا حكمت .

***

ام سامي الدنيا دابحاها وقسمت قلبها نصين..
والنَّاس لما يحبوا يوصفوا الحزن بيوصفوه بيها..
من ســـــاعة ما خرج جوزها زمان كالعادة بعد الفطار معاها وولادهم..
تلات بنات وولد عليهم
ودول كانوا رَجَاه من الدنيا هو وام سامي
يروح لدكان بيع للقماش المانيفاتورة في السوق الكبير..
وكان كل يوم يرجع ساعة الغدا ويريّح ساعة
ويرجع يكمّل لغاية الليل..
لكن النهارده طال انتظارها انه يرجع
وما جاش واتمسي وصبح عليها ييجي كام مسا وصباح
والقلب بقي متشعوط
وروحها بتطلع وبترجع ييجي تلاتين مرة في اليوم

وكل ما تبص للتلات بنات والولد الحيلة..
تِثْقل علي قلبها حيلتها القليلة وتقع مكانها في الأرض..
والنَّاس تشيل وتطبطب وتفوق
وهي المسكينة ما خلتش ولا مكان العين ما بصتش فيه
ولا حِتّة اللسان ماسألش عليه فيها
كتير عدي!
خمس سنين قول بالتمام والكمال
والحكومة كفّت بحث عنه
وعلي حسب القانون اعتبروه ميت
وطلعوا لها معاش علشان كان مواظب علي دفع التأمينات
الله يرحمه
وللّا يساعده ان كان حي ..
قفلت ام سامي بابها عليها وعلي عيالها
وكفِّت نفسها بالمعاش
وباللي كان بيطلع لها من البيت اللي هُمَّه فيه..
كانوا مأجّرين أربع شقق لاربع عائلات..
وفضلت يومياتي الحزينة تحقن عيالها حنان ومحبة وطولة بال
لغايه لما اتخرَّجوا كلهم من الجامعة
وهي كبرت

وبرضه سامي ابنها كِبِرْ
وبقي كتفه يطول يدخل تحت باطها من غير ما يشب ..
بقي سندها وعنيها اللي بتروح وتيجي في الشوارع
وقلبها اللي بيدق وبَلّة الريق..
وجاله التعيين مدرس في الارياف
يركب كل يوم مواصلات ويداوم ..
وأخواته البنات جالهم عرسان
واحدة ورا التانية وبقي عندها تلات رجاله
اخوات لسامي وزي ولادها ..
بدأت ام سامي تاخد نفسها وقلبها دقاته تهدى
وبقيت بتقدر تاخد شفطه من كوباية الشاي وتستطعمها..
بقي طعم الحاجة يقعد علي لسانها..
لكن تقول ايه في الدنُيا أصلها دُنيا
قُصْر الكلام
خرج سامي الصبح كالعادة وما رجعش في معاده..
بدأت الست والبنات واجوازهم والجيران يدوروا عليه
ويتصلوا بالمدرسة اللي بيشتغل فيها في الارياف
وقالوا لهم: ماجاشي النهارده
وام سامي كل ساعة تعدّي

وولدها مافيش أي خبر عنه
تاكل من نظرها حِتّة
ومن روحها حِتّة
ومن جتتها حِتّة..
وفضلت الأيام تشد في بعضيها
لغاية لما عدي خمس ايام
وام سامي تقول:
راح زي ابوه ما راح
سابنا ومشي وخد روحنا وعمرنا معاه ..
وهي قاعدة تعدد قبل معاد العديد
جه عسكري من البندر وقال لهم:
احنا لاقينا ولدكم كانت جثته عايمة في ترعة الديروطية
بعد ما غرقت العربية اللي كانوا رايحين بيها الشغل
البقية في حياتكم
صرخت ام سامي صرخة ورا التانيه
شقت سكون الليل اللي كان مِيزة الشارع
بعدها اتنتورت الحيطان
انصاص بني آدمين مدلدلة من الشبابيك
علشان يعرفوا فيه ايه؟!

وام سامي طلعت في بلكونة بيتها
وقفت
وكأنها بترقص علي حفنة جمر
ورفعت صُباعها لفوق
بتحذّر مرة وبتعاتب مرة
وبتصرخ مرة في القبة الزرقا
ورجعت تِعدّ علي صوابعها وتقول:
العشور وبادفعلك من عوزي واحتياجي
مِرْوَاح الكنيسة كل يوم حَدْ
وما غيبتش عن بيتك مرة واحدة..
الصيامات كلها صمتها لك
الصيام الكبير، والصغير
وصيام الرسل والعذراء مريم..
أنا عمري ما بخلت عليك ولا مرة واحدة..
انت ليه بقي بخلت عليا ببلة الريق الوحيدة اللي بترطب جوفي ؟!
مكنتش خليته يُلْعُص في بطني من الأول!
ما كنتش خليت وشه اتطبع علي صدري وهو أما يرضع !
كنت خدته صغير قبل نفسي ما يتشعلق في نفسه
ما دام في نيتك قساوة

ايوه كنت خدته صغير قبل طوله ما يتفرد
وحِسّه يملي البيت ونس
ايوه يا ناس كان خَدُه صغير
قبل انا واخواته البنات ما نداري في ضله
آاااااه (وهي رافعة صُباعها في عين السما):
حنيّة إيه دي اللي بيقولوها عنك!
يا بووووي عليك وعلي قساوتك !
وفِضْلِتْ تصرخ وتصرخ في الفضا
وتطوّح إيديها دواير في الهوا
وكأنها بتلقط طرف خيط علي يدها
علشان توصل في النهاية للصيد
وتجبره علي النزول علشان يكون الكلام معاها كيل بكيل
يمكن يخجل من منظرها
ومن وجعها ويرجّع اللي خده
الناس واقفة في الشارع ومش عارفين يقولوا ايه !
البقية في حياتك..
وبعد الغالي هو بقى فيها بقيه؟!
العمر الطويل ليكي..
وتقعد ويطول عمرها تتعذب!

مفيش كلام بس اللي طالع علي الناس
بس يا ام سامي..
حرام ما تكفريش حرام ..
وام سامي تصرخ وتقول:
من اليوم وطالع مش ها اخطي عتبة بيتك مرة تاني
ويحرم علي لساني دواقة الحلو ..
ومن النهارده وطالع
مش ها تلمس جتتي الميه غير في الغُسل بتاعي
ولا ها ترتاح علي فرشه طرية لحد دخلتها آلتربة ..
وراحت فاردة كفها في وِشّ السما
وبتودِّي وشها الناحية التانية
كأنها بتوقف التعامل بينها وبينه..
ولما صرخت
رجّت الشارع وقالت له:
من النهارده وطالع مالكش صالح بيَّ
وانا برضه مش عايزه منك حاجة
حتي الأكل والشرب نفسي عافتهم
الناس في الشارع غمغمت
وواحد يقول:

استغفر الله العظيم

وحد تاني يقول لها:

حرام عليكي ده كفُر!

وصوت الناس ابتدا يعلَيَ

وما سكتهمش غير صوت ام محمد شرقاوي

التانيه مسكينة اتجرّبت في وحيدها وسندها

اتاخد منها في في شوية سخونة بييجوا لعيل صغير ابن ست شهور ويروحوا منه

لكن ابنها يا دوب ما كمِّلش نص نهار وكان راح !

ام ومحمد شرقاوي كانت محروقة

راحت صرخت في الناس وقالت لهم:

سيبوها في وجيعتها وخلوها تقف له بقي المَرَّا دي

أصل تارنا معاه كِبِرْ وبقي مالهوش طعم

أصله مش بياخد غير الغاليين وسايب الرخاص

خلي عقلنا خلاص ها يطقّ !

يا عالم يا مؤمنين

ده كل مرة إيده تتمد فيها علي بيت

مش بياخد منه غير الجمل اللي فيه!

ويزرع صبار الْحُزْن والوجيعة والمرَار والحنْضَل في الحلوق

ومن يوميها وام سامي لا بتاكل حلو ولا بتنام علي سرير
ولا جتتها بتلمسها الميّه
وبتغير هدومها علي الناشف
لكن عُمْر ريحة جسمها ما فاحت أبداً .

***

وفِضِلْ بعديها
شارع الصابحة ساكت وهادي وكافي خيره شره
لغاية لما المسلمين والمسيحيين شالوا من بعض
ووقفوا وبينهم الشر نافر
علشان جميلة ام محمود
اللي كانت كاشفه نفسها بالخمسة جنيه
طقّت في دماغها
ما يدخلش معاها في ضلمة بيتها مسيحيين تاني..
ولما المسيحيين الشبان عرفوا
راحوا على "فيولا" وقالوا لها:
ما فيش مسلمين يدخلوا عندك تاني..
ومنعوا ناس بالقوة
قالت:

خلاص.. إذا كانت جميلة قالت كده يبقي انا أرخص للمســـيحيين وأغلِّي عـَ المسلمين!

ما انتو عارفين زباني المسلمين كتار ..

وراحت جرْي علي جميلة.. تعقّلها

علشان خافت من الفضيحة والريحة توصل للمباحث ..

قالت لها: جرالك ايه يا جميلة هو خلاص الإيمان نزل عليكي.. مالك ؟! ده اللي واصلك واصلني..

من امتي وفيه مسلم ومسيحي؟

هي اللي زيِّنا وقبلت انها تتعرّي

بيبقي ليها الحق في النقاوة علشـــان تقولي مش ها ادخل مع اي واحد مسيحي ؟!

وكمان مش ناقصه نجاسة؟!

طيب اهو الرجالة وقعوا في بعض قدام بيتي

ومفيش واحد مسلم قادر يخطي عندي..

ينفع كده يا ام محمود لما المســـيحيين والمســـلمين يقتلوا بعض علشانا؟!

(جميله ام محمود ســاكته وبتســمع وزي اللي مش عارفة نفســها غلطانة ولا صح .. و مش ساكتة)

اسـمعي يا جميلة انا عارفة انك اتغيرتي من سـاعة العيال السُّـنيّة اللي بجلاليب بيضـــا ودقون مـا جولك اكتر من مرة علشـــان ينصحوكي بالحلال والحرام .

واوعي تقولي لا ماحدّش جالي!

انا عارفاهم.. الواد ابن صباح بتاع البقدونس والجرجير

والواد ابن مديحه الخبازة والواد الطويل الجهم ابن أنعام اللي كانت معانا زمان

اللي مسكوها مع الحاج ناجح الوحش..

وعارفه كمان يا جميلة انهم لما دخلوا عندك في الليل

بعد جوزك ما طلع علي وردية الحلاجة

علشان يقولوا لك ده حلال وده حرام

كلهم ما طلعوش من عندك زي ما دخلوا..

اللي زينا يا حبيبتي مش بتحس ولا بتفتكر

ولا بتعرف تفرّق لحم عن لحم ..

الحاجة الوحيدة اللي بنحس بيها وبنعرف طعمها ولمستها

هي الخمسة جنيه اللي بيحطوها تحت المخدة

او بنقبضها في الاول لما يكون واحد مش مضمون .

***

واتقطع الكلام بينهم لما فات بديع
كان طالع من بيت السيد عبد المنعم اللي بيشتغل عنده
كان بيته في النص ما بين قصر السفير
وبين بيت موسي كيرلس وبيت برسوم عبد الملك ..
بديع جه البيت صغير واتربّى فيه
الشارع كله بيعرفوا واحد واحد ..
بديع بيعتبر كل الناس ناسه
وكل الرجّالة أعمامه
وكل الستات هوانم
كانت لِسَّه خانة الدين عند بديع فاضية..
وعاش عمره كله وهي فاضية..
مرة يقول سيدي عبد المنعم قريبي..
ومرة يقول جابوني من البلد..
كان من بلد غرب ملوي اسمها (قُلُبّا) سبعة كيلو متر
بعيد عن مكان ما بديع عايش بيخدم في بيت سيدهُ عبد المنعم
ولكن كانت قريبة من قلبه زي حرقه الشمس
وهي صالبة عودها في بؤونة..
كان يغيب ويشيل علي راسه بلاص عسل اسود
ويمسك في إيده صفيحه جبنة بيضا

ويطلع من الصبح بدري
ياخدها مشي من ملوي لغاية قُلُبّا
علشان يزور أهله..
كان بيكون فرحان ويقول لكل اللي يقابله:
انا رايح أزور أهلي ..
سيدي عبد المنعم محمّلني الخير كله علشان أودّيه لهم.
وعيال الشارع بيحاولوا يخطفوا الطاقية من علي راسه
كان يقولهم:
ها اجيبلكم سيدي عبد المنعم
ها توقعوا بلاص العسل..
حوش العيال عني يا خواجة زكريا..
حوش عني يا خواجة بشري..
تخاف الأطفال وتجري وتسيبه في حاله..
يتلقّاه عّم احمد الحلاق ويسأله:
رايح فين يا بديع؟
فيجاوب بفرحة غريبة:
رايح البلد أصل النهارده الشوار بتاعي علشان ها اتجوز
يقول له: امتى يا بديع
يقول له الخميس ده عدِّيه ..والخميس اللي بعده عدِّيه برضه

الخميس اللي من وراهم بقي ها يكون كتب كتاب ودُخْلة
بديع عمره ما ملكته أنثي
وهو برضه عمره ما داس طرْف واحدة فيهم
يعني بديع كان عايش في الحلم
وكان سؤال: امتى ها تتجوز يا بديع بقي؟!
سؤال بيخنق رقبته
وابتدأ يزهق من مسخرة الناس عليه
وكان كل ما حد يسأله يقول له:
لما يريد الله!
بس هما في البلد كلموا الشيخ عبد الراضي المأذون
وها اروح علي الخميس اللي جاي وادخل
وبديع ما كانش بيعرف من الأيام غير الخميس
وما كانش يعرف من شهور السنة غير الشهور القبطية ..
ومن كتر ما كان بيمسح
ويعمل شغل البيت كانت عنده خشونة في رُكَبُهْ
وكان صعب عليه خالص لما يروح الجامع ويصلي الجمعة
مسكين مش قادر يركع
كان اكتر من واحد بيحاسبه بالنيابة عن الله
أصل احنا كده البشر من خياباتنا

حتي الأحلام والأمنيات بنخنقها
اركع حلو يا بديع وبطل هرجلة
قال له واحد منهم
راح بديع قال لهم:
مش قادر اركع.. ركبي وجعاني
قاله واحد منهم:
واحنا ها نعملك ايه ؟!
رد عليه:
انت مش ها تعمل
ربنا اللي يعمل
يا اما يشفيني ويخفف رُكَبَيَّا
أو يعتقني من الصلاة بتاعته!
كان يروح بلدهم و ييجي مَشْيْ
الأسفلت كان بياخد من كعابه الأكلاشيه
دايما مكسيّة عينيه بالهموم
ومش باين من الطين غير شعر راسه
كان يوماتي وهو رايح يجيب الفطار في الصبح
وهو فايت يصبح علي الكل
حتي عّم عبيد اللي اتوفي ودكانته مقفولة

ما كانشي بينساه ولازم يصبح عليه
كل الناس اللي بديع شافها من ساعة ما جه الشارع
حتي اللي مات منهم
كان عايش جواه
والناس يضحكوا عليه لما تيجي سيرة حد ميت
وبديع كان يقول: الله يمسيه بالخير .
أصل عّم عبيد المكوجي كان جدع
كان صدره سايع الناس
وطبعًا الجيران لبعضيها
لو معاك دلوقت ادفع
لومش معاك نقضيها
وزي ما قولت من ثانيه الناس لبعضيها
ويوم ما مات عّم عبيد
قلب كل حي اتشق نُصين
يوميها كان في صوان فرح منصوب في الشارع
وواقف النبطشي بيلف الكلام ويدوروا
وكانت المكوي الحديد بترن علي القاعدة الحديد برضه
يوم عادي ومش كل اللي جوا الناس صباح الخير
يعني الحياة برضه شقا

يعني مش كلها شم نسيم
يعني عم عبيد المكوجي بيجيب لقمته ولقمة عياله من فرد ياقة القميص
وساعات بيجيبها من كسرة بنطلون ولد عايق ممكن تسن عليها الموس..
يعني النهارده يوم عادي والنَّاس رايحة وجاية عادي
يعني الخمس شمعات دول جايين من الحاج عثمان
يعني ملك الألوان وصاحب جملة "مَسْكِةْ الفُرْشة فن"..
يعني الليلة فرح وناصب صوانه علي أول الشارع
يعني عّم عبيد كان يغيب ويِدِّي الوابور كَبّاس
ويرجع ياخد له نظره من الفرح
يعني شايف شغله ومش حارم نفسه من حاجة
كان مشغول علي فاضي
والفرح بيشغي بنات بتعصي وتراضي
يعني عّم عبيد قلبه مكويٍ لكنه كان راضي
كان واقف بيستعجله شاب مستني القميص والبنطلون
يعني نفسه يلحق يروح الفرح قبل وهج البنات ما ينطفي
يعني الشاب استعجله كمان مرة
يعني عّم عبيد عارف ان قلب الشباب حامي

اتْعدَل بعدها علي الوابور يستعجله بكباس حامي
وقتها كان لافت وشه بيبص علي بِنْت نزلت في الصوان ترقص
يعني البنت كانت طايبة ولفة الوسط خلّت عقله راح منه
وزود علي قلبه وعلي الوابور الحِمْل
يبقي لا الوابور اتحمّل ولا هو
يعني النار شبت فيه
وفِضِل يجري والنار خلفه كما الراية
يعني بدنه اترسم بالنار
والنَّاس بتخْلِي السكة وتعافر
يعني النار بتلم الناس وتبعدهم
اتعترت رجليه واتكفي
وفوق منه اتكوّمت بطاطين
يعني النار نامت لكن ناره ما نامتش..
يعني عّم عبيد اتحرق فيه كل حاجة
إلا عيونه اللي كانت بتبص وتوصي..
كان سايب وراه عيّل يا دوب بيحبي
وعيّل سابقُه بسنة يا دُوب يعرف يخطي.
وعلشان يرقد ويرتاح ويقفل عيونه وينام النُومة الكبيرة
قالوا له عيالك في عنينا نام وما تخافشي..

راح نام وغمض عنيه
غمضها خالص ومخافشي
رجعوا الشربات تاني
دخلت العروسة علي الساكت
ووقفوا الرجالة ياكلوا في سجاير ويشربوا شاي..
ولمُّوا الكوشة والأنوار الملونة
وفِضْلت اللمبات الصُّفْر
وسابوا الصوان منصوب للعزا اللي جاي

***

اللي حزن عليه بجد
والحزن شق صدره كان عامر الاحمر
عامر كان ساكن في الحارة اللي في ضهر الدكان
والباب الوراني لبيتهم
لو فتحه علي الاخر يبقي دراعه في قلب الدكان
عامر كان إنسان
كان عنده لسانه الدافي بيغنيه عن كل الاحزان
كان عارف بالله وكان الله يعلم به
بيصلي الفرض بفرضه
ركابيه دابت من كتر ما صلي

ومن كتر ما حَلّي سنين عمره ابتهالات
وكان قلبه نضيف
وكان برضه خفيف بيخاف يمشي لوحده في الضلمة
علشان كده عمره ما صلى الفجر في الجامع
اكمن الليل في الوقت ده بيكون دابِسْ الشارع
بس بيقولوا من محبة ربه فيه ابتلاه
كان برضــه عامر الأحمر يركع علي ركابيه قدام الصــبيان وهما ورا منه
اكمنه ماكانتش فيه ولا ست لحالها بتهواه
والمســـكين كان عايش مع أمه ومعرفش يطلّع عامر الراجل من جواه
كان عامر بعد ما يفلت من قدامهم
ويزق علبة السجاير في جيب الصبي
ويديله خمسه وسبعين قرش تمن ساندوتش كفته
كان يصرخ للسما بعتاب وحنين:
يعني خلقت الارض والسما والبحور والجبال
واللي طاير واللي حاطط
والصايم والفاطر
والعاصي والتايب

ومش قادر تخليني طاهر؟!
حتي في شهر رمضان زرعت روحي بالمذلة
وحنِيت ضهري قدام كل الصغار
ليه حوجتني ليهم؟
وانا باملك زي ما ليهم !
غير بس انت اللي حنّيت راسي
وقليت قيمتي وقيمته
مسكين عامر
حتي لما كان بيزنّق ع الحريم في المخبز
علشان يجيب عيش
الستات مش بيزعلوا
والرجاله كانوا بيحسدوه
وهو مسكين
ده حتي في مرة قال:
يا ريتني زي أوديت أو عبد العزيز
بس اللي فيّا ينصفني
واللي فيّا يبقي الصح مَش البرّاني
كان نفسه يكون من تاني
حتي لو فضل يكنس ويمسح ويطبخ لامه

من غير ما يدوس علي نفسه ويكسرها
ويعضّ من الحاجة علي صباعه
كان نفسه يرجع بيته
من غير ما يكون متعلق ولد ابن اربعتاشر في دراعه
كانت دايماً أم رحِّيم لاضمه قلبها في وجعه
زعلانة عليه وتقول:
أمه مش جدعه معرفتش تقوّم الراجل فيه
وسابته مدهون راجل من بره
لكن من جواه حمامة راقد علي البيض
زي طير وجناحه بيكسي جنابه
لكن عمره ما فرده وطار
انا لو منها.. ألسعه في محياه بمعلقة سخنه
يمكن يلقاه لما يتسلّخ
طيب دانا ولدي لما اخش أصحِّيه من النوم
لازم أقول:
يا مشاالله الواد اللهم احفظه
يقدر يسند بيه الجبل لو مال
وانا زي ام عامر هجّالة عليه من زمان لكن خليته راجل
حتي لما البِتْ اللي كان غاويها كسرته

من بعد ما كان نايم قايم عندها
قلت له اسمع يا واد:
اوعاك تقف قدام باب وتخبط عليه
وانت في يوم من الأيام كنت الوحيد اللي معاك مفتاحه..
اوعاك!
أم رحيِّم طول عمرها
لا عندها عيِّل ولا تيِّل
كان كله كلام
من كُتْر ما كانت مجروحة
من حَنْيِةْ راس عامر للأيام
و أم رحيِّم يا دووب
كان اسم
لكن الحرف بيطلع منها زي النُّطفة
بيطلع منها دم ولحم وعضم وجسم
ما كانش عندها زوج
كانت فعلاً هجّالة
لكن ليها فـ كل بيت من بيوتنا
رِجّالة

***

ولسه الستات العجايز في شارع الصابحة
كل ما يشوفوني يجيبوا في سيرة الخالة أم رحِّيم
ويسألوني:
يا ريت يا اولاداتي تعملوا بوصيتها ليكوا
وانتو حوالين سريرها
لما كانت روحها بتتمرجح جواها
وقالت لكم ساعتها:
اسمعوا يا اولاداتي
اوعاك تقفل طاقه كانت مفتوحة بينك وبين النور
ولا تحط علي بابك ترباس من جوه
الخُطاة بس يا ابني اللي بيسجنوا نفسهم بايديهم
ويوم ما تحس ان قلبك بقي نَيْ أو طَرِي
اعرف ان اللي بتحبهم هجروه ومشيوا من جواه
وانت داخل بيتكم ابقي اخلع مداسك
مش علشان تحفظوا من الوسخ
لكن علشان ما تدعسش بمداسك
علي ارواح الحبايب
اللي متنورة في كل مكان جوه البيت اللي كان قانيهم
واضحكوا في وش بعض

واحفظوا وشوش بعض صم
وكل واحد فيكم يكون كتف للتاني لو مال
ده انا يا أولادي
لما كنت بادخل اَي بيت من بيوتكم
كنت لو شمّيت ضهر إيدي باشبع
وكونوا زي ابونا يوسف
اللي كان دايماً يسعي للخير
وإيديكم زي إيديه
يا ما خبزت خير للناس
واللي كان يخبط علي بابه
عمره ماسأله اسمك ايه ؟!
كانت ايده سابقه بتفتح الرفّاص
وكونوا زيْ الشيخ محمد كامل
كان الضهر والمغرب والعِشا والفجر
مش بييجوا غير بصوته
وكانوا المسلمين عارفين انه بيقرأ من القرآن
والمسيحيين كانوا فاكرينه بيقرا من الإنجيل
ما علينا يا أولادي
لكن الغرض خلّيكوا فاكرين

ان صوت الشيخ محمد كامل
كان هو الصوت الوحيد اللي بيجمعنا بعد أم كلثوم
قولوا لبعض كل ما تتقابلوا:
صـــباح الخير ومســـاء الخير ونهارك ســـعيد وليلتك ســـعيدة
متتشعبطوش في السلامو عليكم والسلام لكم
اللي ها تفرّقكم عن بعض
الدنيا اللي شايفانا النهارده
بكره ها تتغرب من غيرنا
لأنها هي اسمها دنيا بِينَا
علشان كده الخرابات سمّوها كده
علشان مفيهاش ناس
وكلام ربنا هو كلامنا
ولا كان كلامه ها يبقي كلام مُنزل غير بِينا احنا
ولا عُمر السواقي دارت علشان تسقي الحَلْفا
طول عُمر السواقي دايره
علشان تخضر قلوبنا قبل النبات
واللي بات فيكم من غير عشا
جوفه الخالي يلسع قلوبكم
ده انا ياما فرطت الرمان في حجري

وكنتوا بتلقطوه زي الكتاكيت الخُضر
افرطوا ايديكم ومتلموهاش غير علشان تضموها
وانتم بتسندوا بعض
او الواحد منكم يطبق رغيف علي الغموس علشان يطعم اخوه
او أي حد دق الباب بسؤال
وخليكم فاكرين
ان يهوذا لما باع سيِّدُه بتلاتين حتة من الفضة
المبلغ ده وقتها مكانش ممكن يشتري حاجة
ولا اَي حاجة
بس كان علي قد البيع بس
بُصّوا لشارع الصابحة
يا ما عبَّي ناس ويا ما فضَّى
ويا ما كان فيه ناس دهب
وكان فيه ناس فضة
عُمر النحاس فيه ما خطي
بصوا لشارع الصابحة
قد ايه بيوت فيه علّيت
وبيوت مالت
قد ايه فيه هجروا وعاشوا

وقد ايه ناس ماتت
حتي حيطان البيوت اللي فيه
من كُتر البُكا باشت
وقد ايه فيه ناس الفرحة منحوتة علي وشوشهم
زي قرص الشمس
وقد ايه ناس مكْسيّة عيونهم بالهموم
مش باين من الطين غير شعر رأسهم
وفيه اللي بقي الشقا مقاسهم
يبقي يا أولادي وقت النفَسِـين اللي جوايا ما يتبخروا والأمر العالي ينفد
اوعاكو تجيبوا لي الغالي من الأكفان
أنتم بس لموا العضمتين علي رطلين اللحم اللي عليهم
وزُقّوني في المنامة
وابقوا سيبوا علي قبري علامة
مع أني عارفه مفيش حد ها يحبي علي ركابيه علشان يدخل يُشق علي الانسان
انا رايحه وانتوا جايين
واللي عديته لورا زي اللي عديته لقدام
وزي ما كان عندي عيال في بيوت النصارى

عندي برضه عيال في بيوت المسلمين
يبقي اللي باقي لكم الشارع والبيوت
والنَّاس اللي باقية فيه
وأنتم الشاهدين علي اللي راح واللي جاي
وعلي آخر شفطة بتشربها الخالة أم رحيم
من آخر كوباية شاي.

شاعر وكاتب مسرحي

مواليد عام ١٩٦٩

ملوي – المنيا

يقيم منذ ١٦ عامًا في الولايات المتحدة الأمريكية

له:

١- "ملح في جرح " مسرحية، جائزة الثقافة الجماهيرية بمهرجان نوادي المسرح.

٢- "حكمة المجانين" مسرحية، جائزة المركز الأول على مستوى الجمهورية.

٣- أشعار وأغنيات لعدة مسرحيات بالهيئة العامة لقصور الثقافة.

٤- "دوّقت صوتها للحمام غني" (شعر).

٥- " دائرة الأحلام" فيلم قصير مشروع تخرُّج في معهد السينما من إخراج شريف وهبة.